16 ème Année No. 769

Lundi — 29 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٦٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٩ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكرات اليومية :

قصـــة فتـــاة

— ٦ —

يوم الأحد ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٥ :

أخذت الفتاة منذ يوم الكرسال تطاردنى بالتليفون ثم بالرسائل ثم بالرسل تريد أن نتلاقى فى شرفة فندق من الفنادق الكبرى ، أو فى مقصف حديقة من الحدائق العامة ، فكنت أجيبها بالمعاذير ، أو أعللها بالمواعيد ، أو أدافعها بالمطل ، حتى لجأت آخر الأمر إلى الخديعة فادعت أنها ملت حياة المدينة ، وحنت إلى حياة الريف ، وأنها تود أن تلقانى لقاء الوداع لأنهج لها الحياة التى تحياها فى العزبة ، وأنتقى لها الكتب التى تقرأها فى العزلة ، وأعين لها الغاية التى تتوخاها فى المستقبل . فقلت لنفسى المرتابة : ولم لا يجوز أن يكون الله قد كشف للفتاة عن بصيرتها ، وأراد للشاردة أن تعود إلى حظيرتها ؟ ثم واعدتها السادسة من مساء هذا اليوم فى شرفة الكنتنتال . فلما التقينا أخذت تبدىء فى العتاب وتعيد ، وتلوم على الصدود وتحتج ، وتعبر عن الشوق وتبالغ ، وأنا قبالتها هادىء النفس ، رزين الشعور ، أسمع عتابها ولا أعتذر ، وأقبل احتجاجها ولا أعترض ؛ حتى إذا قرت الفورة وسكنت الريح قلت لها وقد لاحظت أن لسانها قد طال وأن احتشامها قد قل : أرجو أن تكونى قد سئمت الجبل ولما يلقك الذئب يا بلانكيت !

فضحكت الفتاة بملء فيها ، ثم قالت : أوه ! أنا أسأم الجبل ؟! لقد وجدت فيه حرية نفسى ومتاع قلبى ؛ أما ذئابه فقد تألفتها حتى صارت كلاباً ، وأما ثوره فقد رضتها حتى عادت هررة .

— إذن ماهذا الذى تزعمين من أنك عزمت الرجوع إلى العزبة ؟

— ماذا أصنع ؟ جربت الصدق فى استدعائك فأخفق ، فقلت أجرب الكذب !

— أظنك تذكرين أنى عينت مكانك منى فى حديث سبق ، فوضعتك فى موضع البنت أو الأخت أو التلميذة . ولكنك عققت الأب ، وجحدت الأخ ، وعصيت المعلم ! فماذا عساى أن أملك لفتاة ركبت رأسها وظلمت نفسها وأنكرت حجاها ؟

— تملك أن تكون لها الصديق الذى يضاعف سرورها ويحفظ سرها ؛ وتملك أن تكون لها الفنان الذى يرضى شعورها ويفهم شعرها . إن روحى ما لجسدى من الرغائب والمتع ؛ وقد أجد ما يلذ النفس والجسم فى ملاهى القاهرة وأماكيه الناس ، ولكننى لا أجد ما يلذ العقل والروح فى غير لقائك والحديث إليك .

لقد كنت وأنا فى العزبة كلما أحسست أن هواى يستبد ، وخطاى تتعثر ، وخطاياى تثقل ، كتبت إليك بما اعتزمت أو اجترمت ، فأشعر بما يشعر به المسلم الذى تاب إلى الله فغسل بتوبته ذنبه ، أو المسيحى الذى اعترف للقسيس فمحا باعترافه خطيئته .

كذلك وأنا هنا أحس بأثقال نفسى تهبط هواى ، فأنا أريد أن أخفف منها بالاعتراف لك بها . وقديماً قالوا : لا ذنب لمن أقر ، والاعتراف يهدم الاقتراف .

ثم استمرت الفتاة تقول دون أن تنتظر تعقيبي على كلامها أو فقي على استرسالها :

ظفرت من أختي وزوجها بالحرية التي لا تحفل التبسة ولا الراقبة ؛ ووجدت في ابنة أختي رصواحبها النمط الذي مه وحدة الهوى وتملكه شهوة المغامرة ؛ فالخروج غير مقيد ب ، والرجوع غير محدد بزمن ، والبيت كالفندق يجتمع أهله للأكل والنوم ثم لا يسأل أحدهم الآخر أين كنت ولا جئت !

خرجت أول ما خرجت مع زوزو ابنة أختي إلى معارض باء وعجائب الزينة في شارع فؤاد ؛ وكنا ساعتئذ في الضحى ، بان يملأون طوارَي الشارع كأنما كانت المدارس في إضراب عطلة ؛ فشينا مشية العروس في ثياب الربيع ووشيه ، نقف ونميل هناك ، ونستحسن هذا ونستقبح ذاك ، وزوزو تلمح مة أو تبسم البسمة فتكون مغناطيساً يجذب القلب الحديد من الإرادة الصلبة . ثم التفت فإذا وراءنا أفراد وأزواج من اع والشبان والكهول ، يوقّعون خطاهم على ما نرسم ، نون آذانهم لما نقول . فنبهت زوزو ، فقالت : أعلم ! ثم ي إلى معرض (شملا) فأخذنا نقلب النظر في معروضاته راء الزجاج ، حتى وقع في أسماعنا صوت رقيق يدعونا إلى نزهة كرزار) ، فتشاغلنا فكرر ، ثم تجاهلنا فألح ، ثم تصامنا ، ثم تجهمنا فزجر ، ثم تضاحكنا فهجم ، ثم التفتنا فأشار إلى ة ، فسرنا بجانبه صامتين شامخين كأنما كنا ننتظر سواقنا ع بنا في عربتنا إلى المنزل !

كان للفتى رفيق ينتظره في مكان القيادة من السيارة ؛ فلما هش بوجهه ورحب بلسانه ؛ ثم فتح الباب ، فركبنا نحن ة إلى جزيرة الشاي ، فشربنا بالأكواب الصغيرة ، وأكلنا صحون الكبيرة ؛ ثم ساعدنا المد على المضي بجولة في ة خرجنا فيها قليلا عن المألوف من المزح والدعابة . حتى إذا لحر وهبت نسمات الأصيل ، ذهبنا نستنشق أنفاس الصحراء راء (مينا هاوس) ؛ ثم تحدثنا فقضينا الهزيع الأول من الليل بنا (ديانا) ؛ ثم رجعنا في كرزار بعد العشاء إلى البيت ، نا الصالون قد أخذ زينته بمن حضرن من صواحب زوزو ، يقضين ساعة انتظارنا في العزف والقصف والرقص . فأخذنا مجلسنا بينهن ، وأخذت كل واحدة منهن تنثر على الأخريات خواتن عينها ودفائن صدرها ، فاستنتجت من جملة أحاديثهن وحوادثهن أنهن يغامرن إما طلباً للزواج ، وإما رغبة في المال ، وإما ابتغاء للهو ، وإما حبا للزهو ؛ فاللاتي يطلبن الزواج يتعرضن للشباب أو الأعراب ، يترصدنهم في كل طريق ، ويتصيدنهم بأي وسيلة . واللاتي يرغبن في المال يتوخين الكهول والشيوخ ، فيبذلن لهم ظواهر اللذات أو بواطنها ابتغاء الهدايا من ثياب وزينة وعطر . واللاتي يبتغين اللهو يختبرن ذوي الوجوه الحسان والطباع الفكهة ، فيساقينهم كأساً بكأس ، ويبادلنهم متاعاً بمتاع . واللاتي يحببن الزهو ينشدن أولي الجاه والنعمة ، فيراكبنهم في العربات الفخمة ، ويجالسنهم في الحفلات العظمى . وهؤلاء جميعاً قد ينجحن ، إلا طالبات الزواج فإنهن بالتجربة يخسرن حيث يرجون الربح ، وينقصن حيث يبتغين الكمال .

تركت زوزو تذهب إلى موعد الشابين في عصر اليوم التالي ومضيت وحدي إلى مواطن الفتنة ومزالق الصبي لأشعر بمزة الاستقلال ، وأنعم بلذة المغامرة . فما كان أدهشني حين علمت من نفسي أني فتانة بالطبع ، خداعة بالفطرة ، ألحظ فيصبو الشيخ ، وأفترّ فيخف الحليم ، وأشير فيمتو التكبر ، وأطلب فيسخو البخيل ؛ وأقلب في كفّ النفوس والقلوب فلا أجد نفساً تتأبه عن ضراعة ، ولا قلباً يتأبى على امرأة !

أولعت على الأخص بتجار الكلام من المحامين والصحفيين والممثلين ، لأنهم يحسنون الحديث ، ويجيدون الكتابة ، ويحمّلون الواقع . وقد أغويت منهم حتى اليوم أربعة عشر رجلا بين شاب وكهل ، وغني وفقير ، وكيس وأحمق ! وسأقص عليك حديث كل منهم لتعلم كيف يجعل الله من الرخاوة سلطاناً ومن الضعف قوة .

فقلت لها وأنا أصفق للتادل وأتهيأ للقيام :

حسبي يا ابنتي ! لقد رأيت العيّنة وسمعت البيّنة . وما أحسبك تذكرين هذه المخازي لتندمي عليها وتتوبي منها ؛ إنما تذكرينها كما تذكر العاشقة ما جرعت من رحيق الحب لتلتذ ؛ وتجترّينها كما تجترّ بلاكيت ما أكلت من زهور المرج لتهضم . لا يغرنك يا مسكينة أنك لقيت أربعة عشر خروفاً من السهل وزيادة ، فإنك مما قليل ستلاقين ذئباً واحداً في الجبل وكفى !

(النهاية في العدد القادم) إحسان الزيات